



دانشگاه تهران
دانشکده الهیات و معارف اسلامی

«مراتب تجلیات از دیدگاه محی الدین بن عربی در کتاب
فتوحات مکیه، و اثر آن بر تفسیر آیات قرآنی»

اساتید راهنما

جناب آقای دکتر حسن ابراهیمی
جناب حجة الإسلام سید یدالله یزدان پناه

استاد مشاور

جناب آقای دکتر قاسم علی کوچنانی

رساله برای دریافت درجه دکترا
در رشته فلسفه و کلام اسلامی

نگارنده:

عمار قدور

بهمن ماه ۱۳۹۲

فهرست

١	خلاصة البحث
٩-٢	المقدمه
	الفصل الاول :
٢٨-١١	الأسماء الإلهية
	الفصل الثاني:
٥٥-٣٠	الأعيان الثابتة
	الفصل الثالث :
٧٣-٥٧	الطبيعة
	الفصل الرابع :
٩٤-٧٥	حضرة الخيال
	الفصل الخامس :
١٢٢-٩٦	النفس الرحمانيّ و العماء
	الفصل السادس :
١٣٩-١٢٤	الإنسان الكامل
١٤٦-١٤٠	نتيجة البحث
١٥٠-١٤٧	المصادر و المراجع
	فصول الرساله بالفارسيه
	فصل اول:
١٦٩-١٥٢	اسماء الهيه

١٨٨-١٧٠	فصل دوم: أعيان ثابتة
٢٠٢-١٨٩	فصل سوم: طبيعة
٢١٩-٢٠٣	فصل چهارم: حضرت خيال
٢٤٥-٢٢٠	فصل پنجم: نفس رحمانی و عماء
٢٦٠-٢٤٦	فصل ششم: انسان کامل

خلاصة البحث

يقول العرفاء بالتجلي حقيقة ، و هو ظهور المطلق بصورة المقيّد ، أي هناك وجود واحد مطلق له ظهور ، و لهذا الظهور مظاهر متكثّرة ، و لهذه المظاهر مراتب ، أي ترتيب بشكل خاصّ ، و لكل مرتبة خصائصها و أحكامها.

و ما أتناوله ، أولاً ، في هذا البحث ، هو مراتب التجليات عند ابن العربي مستدلاً على كل مرتبة منها من كلامه ، موضحاً لها ، مستخرجاً لخصائصها و أحكامها ، و كل ذلك ، بالطبع ، من كتابه الفتوحات المكيّة.

ثمّ سأشير بعد ذلك إلى تأثير شهود ابن العربي لكل مرتبة من المراتب ، على فهمه لآيات من القرآن الكريم ، و ذلك من الكتاب عينه الذي نحن بصدده ، و هو كتاب الفتوحات المكيّة.

هذا و قد تمّ تقسيم فصول هذه الأطروحة وفقاً للمراتب التي تمّ بحثها و هي :
الأسماء الإلهية ، و الأعيان الثابتة ، والطبيعة ، و حضرة الخيال ، و النّفس الرحماني و العماء ، و الإنسان الكامل.

المقدمة

المقدمة

تعريف الموضوع :

يقول العرفاء بالتجلي حقيقة ، و هو ظهور المطلق بصورة المقيّد ، أي هناك وجود واحد مطلق له ظهور ، و لهذا الظهور مظاهر متكرّرة ، و لهذه المظاهر مراتب ، أي ترتيب بشكل خاصّ ، و لكلّ مرتبة خصائصها و أحكامها.

و ما أتناوله ، أولاً ، في هذا البحث ، هو مراتب التجليات عند ابن العربي مستنداً على كلّ مرتبة منها من كلامه ، موضحاً لها ، مستخرجاً لخصائصها و أحكامها ، و كلّ ذلك ، بالطبع ، من كتابه الفتوحات المكيّة.

ثمّ سأشير بعد ذلك إلى تأثير جهود ابن العربي لكلّ مرتبة من المراتب ، على فهمه لآيات من القرآن الكريم ، و ذلك من الكتاب عينه الذي نحن بصدده ، و هو كتاب الفتوحات المكيّة.

أهمية البحث، الضرورة و الهدف:

لمراتب التجليات مكانة فائقة الأهمية في العرفان النظري ، لأنّ حلّ كثير من معضلات فهم هذا العرفان يرتكز بشكلٍ أساسي على تبين هذه المراتب .

هذا وقد اختلف العرفاء حولها ، فما يقول به صدرالدين القونوي^١ ، مثلاً ، يختلف عمّا يقول به القيصري^٢ ، و ما يقول به كلّ منهما يختلف عمّا يقول به الكاشاني^٣ : و كلّ منهم ينسب ما يقوله إلى الشيخ محي الدين بن العربي و من هنا تغدو الحاجة ملحةً لدراسة هذه المراتب عند محي الدين بن العربي نفسه ، باعتباره الشخصية التي أرست قواعد العرفان

١ . صدرالدين محمد بن اسحاق بن يوسف بن علي القونوي (٦٧٣ هـ . ق).

٢ . داوود بن محمود بن محمد القيصري (٧٥١ هـ . ق).

٣ . كمال الدين عبدالرزاق الكاشاني (٧٣٦ هـ . ق).

النظري ، و في كتاب يُعتبر من أمّهات الكتب العرفانيّة ، و هو كتاب *الفتوحات المكيّة* ، لأنّ ذلك يجعلنا على علم بمدى توافق ابن العربيّ ، أو اختلافه مع غيره من العرفاء الذين أتوا بعده ، بل و يجعلنا على بيّنة من صحّة ما نُسب إليه أو بطلانه، فهذه الرسالة هي خطوة أولى و أساسية في هذا الطريق ، تُطلِّعنا على ما ورد عند ابن العربيّ في كتابه *الفتوحات* تمهيداً للقيام لاحقاً بهذه المقارنات.

هذا ما يخصّ مراتب التجليات عند ابن العربيّ ، فماذا بشأن تأثير هذه المراتب على تناوله للآيات القرآنيّة ؟

إنّه لمن المقطوع به أنّ للشيخ محي الدين بن العربيّ تفسيرين على الأقلّ ، جاء على ذكر عنوانيهما في *الفتوحات المكيّة* ، و هما كتاب *الجمع و التفصيل* في معرفة معاني التنزيل^١ ، و كتاب *إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن*^٢ .

كما أنّ ابن العربيّ يذكر كتابين آخرين في *الفتوحات المكيّة* ، يُحيل القاريّ إليهما، يُسمّي أحدهما *التفسير*^٣ ، و الآخر *التفسير الكبير*^٤ .

لكنّ هذه التفاسير ما تزال مفقودة^٥ ، باستثناء مقاطع من كتاب *إيجاز البيان* في الترجمة عن القرآن، طبعه الأستاذ محمود الغراب على هامش كتابه *رحمة من الرحمن* في تفسير *وإشارات القرآن*^٦ .

١ . ابن العربيّ ، *الفتوحات المكيّة* ، ٥٩/١ . و كذلك : ٦٣/١ ، ٦٥ ، ٧٧ .

٢ . ابن العربيّ ، م . ن ، ٦٤/٣ .

٣ . م . ن ، ٨٦١ و كذلك : ١١٤/١ ، ٦٤ /٣ . .

٤ . م . ن ، ١٩٤/٤ .

٥ . و أمّا التفسير المطبوع باسم ابن العربيّ ، فلاصِلّة لابن العربيّ به ، والنسخة الخطيّة منه محفوظة في المكتبة السليمانية بتركيا تحت رقم ١٧-١٨ ، و تحمل خاتم مؤلفه عبدالرزاق الكاشاني المتوفى عام (٧٣٠ / ١٣٣٠) ، راجع : Osman Yahya, *Historie et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabi*, II/483.

٦ . راجع : سوابق البحث (بيشينيّة تحقيق) .

و أعتقد أنه يمكن لكتاب *الفتوحات المكيّة* ، في غياب هذه التفسير ، أن يُقدّم لنا تصوراً لمنهج ابن العربيّ في تعامله مع النصّ القرآنيّ ، فهو كتابٌ يزخرُ بالنصوص القرآنيّة ، ويمتزج بها امتزاجاً يصل إلى حدّ التماهي أحياناً .

هذا و قد اقتضت على كتاب *الفتوحات* لأنّه الكتاب الأمّ لابن العربيّ ، و قد أولاه مؤلّفه عنايةً فائقةً ، و لأدل على ذلك من أنّه أعاد صياغته مرةً أخرى في أواخر عمره المبارك ، سنة ٦٣٦ / ١٢٣٨ .

كما أنّه لو نظرنا إلى حجم هذا الكتاب آخذين بعين الاعتبار المدة المخصّصة لإتمام هذه الدراسة ، فإنني أعتقد أنّ وسعة هذا الكتاب و غناه لا يحولان دون العوده إلى ماسواه من كتب ابن العربيّ فحسب ، بل لعلّ مايمكن بحثه من عناوين هذه الأطروحة عينها ، لا يعدو أن يكون بمثابة خطواتٍ أولى في مضمارها .

يُضافُ إلى ذلك أنّ الباحثين يتخذون من كتب ابن العربيّ الأخرى، و خاصةً فصوص

الحكم ، أساساً لدراساتهم ، و قلّما يُحيلون إلى *الفتوحات* .^١

السؤال الأساسيّ و السؤالات الفرعيّة :

السؤال الأساسيّ :

ما هي مراتب التجلّيات عند ابن العربيّ في كتابه *الفتوحات المكيّة* ؟

و ما أثرها على تناوله للنصّ القرآنيّ في الكتاب عينه ؟

و يتفرّع عنه :

– ما هي تعيّنات ما قبل التكوين ؟

١ . هناك نسخة من كتاب *الفتوحات* في تركيا مكتوبة بخطّ المؤلّف في مكتبة أوقاف موسى تحت رقم ١٨٤٥ - ١٨٨١ (الرقم الجديد ١٧٣٦-١٧٧٢) و هي نسخة كاملة مؤلّفة من ٣٧ / جزءاً ، انتهى من تحريرها سنة ١٢٣٨/٦٣٦ في دمشق، و عليها / ٧١ / سماعاً منها / ٥٧ / سماعاً على المؤلّف نفسه .

راجع : Osman Yahya, *Historie et classification de l'œuvre d'Ibn 'Arabi*; 201-235.

- ما هي تعيّنات ما بعد التكوين ؟

- ما النَّفس الرحمانيّ ؟

- ما الإنسان الكامل ؟

- ما أثر ذلك كلّه على تناول ابن العربيّ لآيات من القرآن الكريم .

الفرضيات :

أولاً : مراتب التجليات :

ما يفهم من الفتوحات هو أنّ هناك ظهوراً مطلقاً هو النَّفس الرحمانيّ ، فيه تظهر جميع التعيّنات .

وهذه التعيّنات يمكن تقسيمها إلى قسمين ، تعيّنات ما قبل التكوين ، أي قبل صدور الأمر الإلهيّ بالتكوين ، وذلك بقوله «كُنْ» ، و تعيّنات ما بعد التكوين ، أي بعد صدور هذا الأمر .

و أمّا الإنسان الكامل فهو آخر التعيّنات ، لكنّه يرتقي في تحقّقه إلى الاسم الله الجامع .

ثانياً : أثر شهود مراتب التجليات على تناول ابن العربيّ لآيات من القرآن الكريم :

ما نجدّه في الفتوحات هو أنّ لشهود ابن العربيّ لمراتب التجليات تأثيراً بالغ الأهميّة

على فهمه لكثير من الآيات القرآنيّة ، فكثيراً ما يلامس عمقاً روحياً لهذه الآيات ، و بعداً

جماليّاً لها ، ما كان ليصل إليه لولا شهوده لهذه المراتب .

منهج البحث :

حاولت في البدء أن أجمع النصوص المتعلّقة بعنوان من عناوين هذه الأطروحة من

كتاب الفتوحات ، و قد تبين لي أنّ ابن العربيّ قد نثر معرفته بشأن كلّ عنوان منها في

أبواب و فصول الفتوحات كلّها .

لكنني وجدت أن لكل عنوان نصوصاً هي مفاتيح لفهم ماسواها ، فاتخذت من هذه النصوص المفتاحية أساساً و منطلقاً للبحث .

و من الجدير بالذكر ، هنا ، أن محتوى هذه النصوص المفتاحية قد يكون مُغايراً لما هو شائع و متعارف عليه بين شراح ابن العربي من قداماء و معاصرين ، فأثبتت ما رأيت أنه أقوال صريحة لابن العربي دون أي محاولة لتحميل هذه الأقوال تأويلاتٍ تُعيدها إلى ماهو شائع و متعارف عليه ، و ذلك أملاً بالوصول ، عاجلاً أم آجلاً ، إلى ابن العربي المطابق ، قدر الإمكان ، لما هو عليه في الفتوحات .

سوابق البحث :

- أميني نژاد علي ؛ حكمت عرفاني :

هناك تحريران لدروس العرفان النظري التي ألقاها حجة الإسلام السيد يدالله يزدان پناه في الحوزة العلمية في قم ، هذا الكتاب أحدهما ، و الآخر هو كتاب عرفان نظري الذي سأتي على ذكره لاحقاً .

و قد صاغ حجة الإسلام أميني هذا الكتاب بأسلوبه الشخصي ، و أضاف عليه فصلاً وجدها مناسبة لإتمام البحث كتجدد الأمثال و المعاد عند العرفاء .

- ايزوتسو توشيهيكو ؛ صوفيسم و تائويسم :

يتطرق ايزوتسو إلى موضوع التجلي و مراتبه عند ابن العربي ، لكنه يقتصر في بحثه هذا على كتاب فصوص الحكم ، في حين أن مشروعتي الدراسي المقدم يرتكز أساساً على كتاب الفتوحات المكتية .

- الغراب ، محمود محمود ؛ رحمه من الرحمن في تفسير و إشارات القرآن :

هذا الكتاب تفسير غير شامل للقرآن ، اقتطفه مؤلفه الأستاذ محمود الغراب ممّا بين أيدينا من مؤلفات ابن العربي .

و بالتالي فهو كتابٌ جمعيٌّ لا يهدف إلى تناول الجانب القرآني الذي نحن بصدده ،
لكنّه بمثابة مرشدٍ بامتياز إلى الأماكن التي تناول فيها ابن العربي الآيات في مؤلفاته
الأساسية ، و قد أحسن مؤلف هذا الكتاب الربط بين المواضيع المتعلقة بالآية الواحدة .

الغراب ، محمود محمود ؛ *الخيال عالم البرزخ و المثال* :
يكتفي الأستاذ محمود الغراب في كتابه هذا بجمع و توليف الأقوال المتعلقة «بالخيال
عالم البرزخ و المثال» من كتب ابن العربي المتداولة .

- رحيمان سعيد ؛ *أفرينش از منظر عرفان* (سيري در نظريه تجلّي و ظهور در عرفان
نظريّ ابن عربيّ) :

يتناول هذا الكتاب بشكل أساسي نظام المظاهر عند تلامذة ابن العربيّ و عند مَنْ أتى
بعدهم من العرفاء و يكتفي بتقديم مراتب المظاهر عند ابن العربيّ بما لا يتجاوز اثنتي
عشرة صفحة ، استمدّ قسماً منها من كتاب عقلة المستوفز .

ولا يمكننا القول بأنّ الكاتب قد استوفى في هذه الصفحات القليلة بحث مراتب
التجليات و خصائصها و أحكامها ، و تحديداً في كتاب بحجم الفتوحات المكيّة .

- يزدان پناه سيّد يد الله ؛ *عرفان نظريّ* (مباني و أصول) .

هذا الكتاب هو تحريرٌ لمجموعة دروس العرفان النظريّ التي ألقاها مؤلفه حجة الإسلام
السيد يزدان پناه في الحوزة العلميّة في قم ، و يركّز على مجموعة من الكتب مثل
فصوص الحكم و بعض شراحه ، و خاصّة شرح القيصري ، و مثل *مصباح الأنس للفناريّ* ،
و هو شرح لكتاب *مفتاح الغيب للقونوي* ، كما يعتمد على كتب القونوي الأخرى مثل
نصّ النصوص و *إعجاز البيان و الفكوك* .

كما يُحيل السيد إلى كتاب *تمهيد القواعد لابن تركه*^٢ ، و إلى كتاب *نقد النصوص*
لجامي^٣ ، لكنّه قليلاً ما يرجع في كتابه هذا إلى *الفتوحات* .

١ . محمد بن حمزه الفناري (٧٥١ - ٨٣٤ هـ .) .

٢ صائن الدين علي بن محمد تركه (٨٣٥ هـ .) .

٣ . مُلا عبدالرحمن جامي (٨١٧ - ٨٩٨ هـ .) .

- Chodkiewicz Michel. – *un Océan sans rivage*.

ضمّن الكاتب ميشيل شوكوفيتش كتابه هذا مجموعةً من المقالات تتعلّق بكيفيّة تعامل ابن العربيّ مع النصّ القرآنيّ ، لكنّها مقالاتٌ تشير فحسب إلى شيءٍ مما نحن فيه .
و هكذا نجد أنّ مجمل هذه الكتب و ما شابهها ، إمّا أن تتناول مراتب التجلّيات تبعاً لتلامذة ابن العربيّ و مَنْ جاء بعدهم ، و إمّا أن تعرض علينا باقتضاب شديد ما قاله ابن العربيّ ، و أمّا أن تقتصر على فصوص الحكم دون غيره من الكتب ، و إمّا أن تقدّم لنا ما يقوم على الوصف دون التحليل ، و إمّا أن تهدف إلى الجمع و التوليف ، و هي كتب في غاية الأهميّة ، لكنّها لا تُغني عن دراسة مراتب التجلّيات عند ابن العربيّ دراسةً مفصّلةً وافيةً ، بل و تجعل من القيام بهذه الدراسة أمراً ضرورياً و خاصةً في كتاب *الفتوحات المكيّة*.

و الأمر عينه بالنسبة للكتب التي تناولت التفسير عند ابن العربيّ ، فبالكاد أن تقارب

موضوعنا .

والسلام

الفصل الاول

الأسماء الإلهية

الأسماء الإلهية

يقول ابن العربي بأن الأسماء الحسنى هي المؤثرة في العالم ، وبأنها المفاتيح الأول ، وبأن لكل حقيقة من الحقائق اسماً يخصها من الأسماء ولكي يوضح لنا معنى الحقيقة ، يضرب لنا مثلاً ، وهو الجوهر الفرد الذي لا ينقسم ، فيقول بأنه جامع لحقائق متعدّدة ، وكل منها تطلب اسماً الهياً معيّناً يخصها .

" فحقيقة إيجاده [إيجاد الجوهر الفرد] تطلب الاسم القادر ، ووجهه إحصاءه يطلب الاسم العالم ، ووجهه اختصاصه يطلب الاسم المرید ، ووجهه ظهوره يطلب الاسم البصير والرائي " ^١ .
ومن خلال هذا النص يتبين معنى الحقائق ، فالإيجاد حقيقة ، والإحصاء حقيقة ، والاختصاص حقيقة ، والإظهار حقيقة .

فالحقيقة ، هنا ، بمعنى المتحقق ، أي لا بُدَّ لتتحقق كل معنى من هذه المعاني المذكورة من تدخل اسم من الأسماء الإلهية .

أي لا بُدَّ من الاسم القادر لتتحقق الإيجاد ، ولا بُدَّ من الاسم العالم لتتحقق إحصاء ما يراد إيجاده ، وودلك تبعاً لما هو عليه في العلم الإلهي ، ولا بُدَّ من الاسم المرید لتخصيص إيجاده في وقت معيّن دون غيره من الأوقات ، أي لترجيح إيجاده على عدمه في هذا الوقت المعين ، كما لا بُدَّ من الاسم البصير لتتحقق الإظهار .

فإذا كان لا بُدَّ من كل ذلك لإيجاد الجوهر الفرد ، رَغَمَ صِغَرِهِ وَتَنَاهِيهِ ، فما بالنا بغيره .

أمّهات الأسماء :

سبق أن ذكرنا أنه ما من أمر ممكن الوجود إلا ويحتاج إيجاده إلى مجموعة من الحقائق ، أي إلى مجموعة من الوجوه أو المعاني التي تطلب أسماء الهية معيّنة .

١ . ابن العربي ، الفتنوحات المكيّة ، ١ / ١٠٠ .

وبالتالي ، فإنَّ إيجاد العالم بأسره يحتاج إلى ما لا حصرَ له من الحقائق التي تطلب ما لا حصرَ له من الأسماء الإلهية .

ولمَّا كان تناول ما لا حصرَ له من الأسماء أمراً متعذراً ، فقد كان لا بُدَّ من الاقتصار في البحث على أمهات الحقائق التي لا غنى عنها لإيجاد العالم ، وبالتالي الاقتصار على أمهات الأسماء التي تطلبها هذه الحقائق .

وابن العربيّ يذكر أنَّ الأسماء السبعة المعبَّرَ عنها بالصفات عند علماء الكلام تنضمَّن جميع ما تطلبه الأشياء المعلومة في العالمين العلوي والسفلي ، وهذه الأسماء هي الحيّ والعالم والمريد والقادر والقائل والجواد والمُقسِّط^١ .

كما يذكر بأنَّ هذه الأسماء لاتعنيه من حيث أنَّها صفاتٌ عند علماء الكلام ، بل من حيث أنَّها أسماء لا بُدَّ منها لإيجاد العالم .
فها هو يخبرنا عنها فيقول :

" فأَمَّهات الأسماء الحيّ، العالم، المريد، القادر، القائل، الجواد، المُقسِّط، ...

فالحيّ يُثبت فهمك بعد وجودك و قبله ، والعالم يُثبت إحكامك في وجودك ، وقبل وجودك يُثبت تقديرك ، و المريدُ يُثبت اختصاصك ، والقادر يُثبت عدمك ، والقائلُ يُثبتُ قدمك و الجواد يثبت ايجادك و المقسط يثبت مرتبتك والمرتبة آخر المنازل^٢ .

فهذه الحقائق المذكورة لا بُدَّ منها للإيجاد ، وبالتالي لا بُدَّ من اسمائها ، وهذه الأسماء هي أرباب الأسماء ، وما عداها فسندتُ لها ، أي تابعة لها أو تحت حكمها .

والحيّ هو ربُّ الأرباب والمربوبين ، وإمام أئمة الأسماء ، ويليه في المرتبة العالمُ ، فالمريد ، فالقائل ، فالقادر ، فالجواد ، فالمُقسِّط^٣ .

١ . ابن العربيّ، الفتوحات المكيّة ، ١ / ١٠٠ .

راجع كذلك : م . ن . ، ٤ / ٢٩٤ .

٢ . م . ن . ، ١ / ١٠٠ .

٣ . م . ن . ، ١ / ١٠٠ .

ايجاد المثال :

يحدثنا ابن العربي أنّ أوّل مَنْ قام لطلب إيجاد أعياننا هما الاسم الإلهيّ "المدبّر" ،
والاسم الإلهيّ "المفصل" ، بناءً على طلب من الاسم "المليّك" ، فتوجّهها "على
الشيء الذي عنه وجد المثال ، في نفس العالم" ^١ .

أي هناك ما يطلق عليه ابن العربيّ اسم "الشيء" في نفس العالم ، أي في عين
ذات الحقّ ، وأنّ الاسم الإلهيّ "المدبّر" ، والاسم الإلهيّ "المفصل" قد توجّهها على هذا
"الشيء" لإيجاد ما يُماثلُه مدبّراً مفصّلاً ، فكان المثال . وتوجّه هذين الاسمين الإلهيّين
"المدبّر" و "المفصل" على ذلك "الشيء" لإيجاد مثاله يوحي لنا بأنّ هذين الاسمين
قد أوجدا هذا المثال وأظهراه مدبّراً مفصّلاً بطريقة لم يكن عليها ذلك "الشيء" الذي
عنه ظهر هذا المثال .

يقول ابن العربيّ :

"وأما المثال الذي عليه وُجِدَ العالمُ كُلُّهُ ، من غير تفصيل ، فهو العلم القائم بنفسه

الحقّ تعالى" ^٢ .

فما يعنيه ابن العربيّ بقوله : "المثال الذي عليه وُجِدَ العالمُ كُلُّهُ" ، هو أنّ العالمَ كُلَّهُ
وُجِدَ وفقاً لما هو عليه هذا المثالُ المدبّرُ والمفصّلُ ، أي أنّ الأعيان الوجودية قد ظهرت
مدبّرة مفصّلة وفقاً لما هي عليه الأعيان الثبوتية المدبّرة والمفصّلة .

وأما لو افترضنا النظر إلى هذا المثال من دون تدبير وتفصيل لكان ذلك عين العلم
القائم بذاته سبحانه ، وهو "الشيء" الذي عنه وُجِدَ هذا المثال . فعبارة "من غير
تفصيل" ، هنا ، هي بيت القصيد ، وكأنّ المثالَ المدبّرَ والمفصّلَ كان مجملاً في عين
الذات ، فأظهره الاسمان الإلهيّان "المدبّر" و "المفصل" مدبّراً و مفصّلاً .

١ . ابن العربيّ ، الفتوحات المكيّة ، ١ / ١٠٠ .

٢ . م . ن ، ١١٩ / ١ .

لكن ابن العربي يُضيف:

" فإنه سبحانه عَلَّمَنَا بِعِلْمِهِ بِنَفْسِهِ ، وأوجدنا على حَدِّ ما عَلَّمَنَا ، ونحن على هذا الشكل المعين في عِلْمِهِ ، ولو لم يكن الأمر كذلك لأَخَذْنَا هذا الشكل بالاتِّفاق ، لاعتن قصد ، لأنه لا يعلمه ، ولا يمكن أن تَخْرُجَ صورة في الوجود بحكم الاتِّفاق ، فلولا أن هذا الشكل معلومٌ لله سبحانه ومرادٌ له ما أوجدنا عليه ، ولم يأخذ هذا الشكل من غيره، إذ قد ثبت أنه كان ولا شيء معه ، فلم يَبْقَ إلا أن يكون ما برز عليه في نفسه من الصورة ، فِعْلُهُ بِنَفْسِهِ عِلْمُهُ بنا أولاً لا عن عدم ، فعلمه بنا كذلك ، فمثالنا الذي هو عين علمه بنا قديمٌ بقدم الحقّ لأنه صفةٌ له ، ولا تقوم بنفسه الحوادث جلّ الله عن ذلك " ١ .

فلم يبق لنا سوى أن نقولَ أن " الشيء " الذي أوجد عنه المدبّر والمفصلُ المثال هو شيءٌ مجملٌ في عين الذات ، لكنّ إجماله هو بالقياس إلى المثال ، لكنّه مفصلٌ بالنسبة إليه سبحانه ، وبناء على ما يعلمه الله من تدبيره وتفصيله أظهره الاسمان الإلهيان المدبّر والمفصل مدبّراً و مفصلاً فالعلم الإلهي مجملٌ بالنسبة لما سيظهر عنه، مُفصّلٌ بالنسبة لله سبحانه ، وغير ذلك لا يُفهمُ .

ويقول ابن العربي :

" فلما دبر العالمَ وفصله هذان الاسمان [المدبّر والمفصل] ، من غير جهل متقدّم به أو عدم علم ، وانتشأت صورة المثال في نفس العالم ، تعلق اسمه العالم ، إذ ذاك ، بذلك المثال ، كما تعلق بالصورة التي أخذ منها [أخذت منه] ، وإن كانت غير مرئية لأنها غير موجودة " ٢ .

١ . ابن العربي ، الفتوحات المكيّة ، ١ / ١١٩ - ١٢٠ .

٢ . م . ن ، ١ / ١٠٠ .

فهناك ، إذا ، " الشيء " الذي عنه وُجِدَ المثال ، وهو عِلْمُهُ سبحانه في عين ذاته ، وهناك " المثال " ، وهو الأعيان الثابتة ، وهناك " صورة المثال " وهي الأعيان الوجودية .

فالإسم المدبّر هو الذي يُظهِرُ ترتيبَ المثال ، أي ترتيب الأعيان الثابتة ، والاسم المفصل هو الذي يُظهِرُ تفصيلها .

ومادام هذان الاسمان قد أظهرنا الأعيان الثابتة مُرتَبَةً مُفَصَّلَةً ، فهذا يعني ، في نهاية المطاف ، أنهما قد أظهرنا كلَّ ما سوى الله مُرتَبًا مُفَصَّلًا ، لأنَّ ما سيظهر عن الأعيان الثابتة تابع لما هي عليه .

وكان من نتيجة هذا التدبير والتفصيل أن " انتشأت صورة المثال في نفس العالم " فما المقصود بصورة المثال ؟

ما أفهمه هو أن " المثال " غير " صورة المثال " ، فالمثال وُجِدَ عن " الشيء " الذي هو في نفس العالم ، أي عن الشيء الذي هو في عين الذات ، فالمثال هو الأعيان الثابتة ، وأما " صورة المثال " ، فهو الأعيان الوجودية ، أو العالم بأسره ، وقد وجدت عن " المثال " .

فعندما ظهر " المثال " ، أي الأعيان الثابتة ، تبين للاسم العالم ، كما تبين لجميع الأسماء ، ما ستكون عليه الأعيان الوجودية ، ذلك لأنه ، كما ذكرنا سابقاً ، وكما سنضطر للتنبؤ به إليه لاحقاً ، هو أن الوجود تابع لما عليه الثبوت ، فظهور الثبوت يبيح للأسماء الإلهية أن تتبين ما سيكون عليه الوجود، وإن كانت المظاهر الوجودية غير مرئية لأنها لم توجد بعد .

" فالانتشاء " في النص الأنف الذكر ، هو بمعنى التبين لا بمعنى الظهور ، فتعلق الاسم العالم بالمثال ، كما تعلق بالصورة التي أخذت من هذا المثال ، لكن تعلقه بالمثال كان تعلق علم به ، في حين أن تعلقه بالصورة ، أي بالأعيان الوجودية هو تعلق إيجاد .

وأما قول ابن العربي بأنَّ صورةَ المِثالِ قد انتشأت في نفسِ العالمِ ، فلا ضيرَ في ذلك ، لأنَّ مراتبَ التجلّياتِ ، بكلِّ تفاصيلها ، لا بُدَّ أن تتكونَ في عينِ نفسِ العالمِ ، بمعنى أن تقومَ بعينِ قيامِ الذاتِ ، إذ لا شيءَ آخر تقومُ به ، لكنَّ قيامَ هذه التجلّياتِ بالذاتِ هو قيامُ مرآتيِّ كما سنرى لاحقاً ، أي قيامِ الصورةِ بالمرآةِ ، لا بمعنى أن تقومَ هذه التجلّياتِ بالذاتِ في عينِ مرتبةِ الذاتِ .

ويؤكِّد ما أوردناه ما يذكره ابن العربي تكملةً للنصِّ السابق فيقول :

" وما عملاً شيئاً [الاسمان المدبّر والمفصل] من نشء هذا المِثالِ إلا بمشاركة بقيّة الأسماء ، لكن من وراء حجاب هذين الاسمين ، ولهذا صحّت لهما الإمامة والآخران لا يشعرون بذلك ، حتى بدت صورة المِثالِ ، فرأوا ما فيه من الحقائق المناسبة لهم تجذبهم للتعشُّقُ بها ، فصار كل اسم يتعشَّقُ بحقيقته التي في المِثالِ ، ولكن لا يقدرُ على التأثير فيها إذ لا تُعطي الحضرةُ التي تجلّى فيها هذا المِثالِ ، فأدأهم ذلك التعشُّقُ والحبُّ إلى الطلبِ والسعي والرغبة في إيجادِ صورة عين ذلك المِثالِ ليظهرَ سلطانهم ، ويصحَّ على الحقيقة وجودهم " ١ .

فلو تأملنا النصَّ الأنفَ الذكر لوجدنا أنَّ هناك المِثالِ الذي أبرزه المدبّر والمفصلُ ، وأنَّ هناك صورة المِثالِ التي رأت فيها الأسماءُ الإلهية الحقائق التي تطلب منها أن تُظهرها ، ورأت الأسماءُ في إظهار هذه الحقائق ، ظهورَ أحكامها وسلطانها ، فانجذبت الأسماءُ لذلك ، وأحبت أن تُظهر الأعيانَ .

فتعشَّقَ كلُّ اسمٍ من الأسماءِ الإلهية بالمِثالِ للتأثير فيه ، وإيجاد الحقائق التي رأى أنَّها تطلبه في صورة المِثالِ ، لكنَّ الحضرةُ التي تجلّى فيها المِثالِ ، أي حضرة الأعيان الثابتة ، لا تمكَّنُ الأسماءَ من التعلُّقِ بها لإيجادها ما لم يأتها الأمر بالتكوين ، فاهتمت الأسماءُ ، وسعت لإيجاد عين ذلك المِثالِ .

١ . ابن العربي ، الفتوحات المكيّة ، ١ / ١٠٠ .

يقول ابن العربيّ :

" فَإِنَّ الخالقَ الذي هو المقدّر ، والعالم ، والمدبّر ، والمفصّل ، والباري ، والمصوّر ، والرازق ، والحَيّ ، والمُمتيت ، والشّكور ، وجميع الأسماء الإلهيّة ، نظروا في ذواتهم ، ولم يروا مخلوقا ، ولا مدبّراً ، ولا مفصّلاً ، ولا مرزوقاً ، فقالوا : كيف العمل حتى تظهِرَ هذه الأعيانُ التي تَظهِرُ أحكامنا فيها ، فيظهِرُ سلطاننا ؟ " ١ .

بقي أن نذكرَ أنّ جميعَ الأسماء الإلهيّة قد شاركت الاسمين " المدبّر " و " المفصّل " ، لكنّها مشاركةٌ من وراء حجابهما ، بمعنى أنّ الأسماء لم تكن تعلم بأنّها تعمل وفق مايمليه عليها هذان الاسمان ، ولهذا فإنّ هذين الاسمين هما إماما الأسماء جميعاً في إيجاد المثال .

١ ابن العربيّ ، الفتوحات المكيّة ، ١ / ٣٢٣ .